أداة استمارة الاستبيان: اختلالات البناء والتوظيف

أ.د. أزهار صبيح غنتاب
كلية الإعلام / قسم الصحافة

ثمة اختلالات علمية، يمكن وصفها بالجوهرية، غالباً ما تشوب عملية بناء استمارة استبيان آراء جمهور المبحوثين، واختبار صدقها، ومن ثم اعتمادها أداة بحثية في العلوم الإنسانية؛ على النحو الذي يحقق الوصول المنهجي القويم، إلى نتائج علمية صحيحة ودقيقة.

يتمحور موضوع هذه الحلقة النقاشية، حول تبيان تلك الاختلالات، التي يمكن أن نجملها على النحو الآتي:

بناء استمارة استبيان آراء الجمهور على نحوٍ لا يأخذ تساؤلات البحث وأهدافه بعين الاعتبار، مما يفضي إلى تضمين الاستمارة، أسئلة غير منتجة علمياً، وأخرى غير ذات صلة بتلك التساؤلات وانعكاساتها في أهداف البحث.

وتحييد مؤشرات الإطار النظري للبحث، وما توصلت إليه الدراسات السابقة من نتائج علمية، عند صياغة أسئلة استمارة الاستبيان، ما يجعلها أداة لقياس ما ليس له صلة وثيقة بمتغيرات عنوان البحث، ومن ثم عدم صلاحيتها وانتاجيتها العلمية.

فضلاً عن عدم مراعاة التسلسل المنطقي في ترتيب أسئلة استمارة الاستبيان الموجهة إلى جمهور المبحوثين، على نحوٍ يأخذ تسلسل متغيرات عنوان البحث بنظر الاعتبار العلمي.

وتضمين استمارة الاستبيان أسئلة موجهة إلى المبحوثين من الجمهور العام، في الوقت الذي لا يملك أو / وغير مؤهل للإجابة عنها إلا المبحوثون من الخبراء الاختصاصيين في حقل علمي أو مهني معين.

فضلاً عن صياغة أسئلة الاستبيان . بقصد أو من دونه . على نحوٍ (إيحائي) يفضي بالمبحوثين إلى الإجابة عنها باتجاه معين؛ ما يؤثر. سلباً. في دقة النتائج العلمية المترتبة على تحليل تلك الإجابات، فضلاً عن صحة تفسيرها.

وأن تأتي صياغة أسئلة استمارة الاستبيان أو بعضها على نحوٍ مزدوج، إذ يتضمن السؤال منها سؤالين أو أكثر، ما يؤدي . في أغلب الأحيان . إلى إجابة المبحوث . عمداً أو سهواً . عن سؤال من دون سواه من الأسئلة الأخرى المتضمنة، الأمر الذي يعني عدم استحصال الإجابات المطلوبة عن أسئلة الاستبيان التي يعتقد الباحث إنها كافية ووافية؛ لتحقيق أهداف بحثه.

علاوة على عمومية الأسئلة، وعدم صلتها بتجربة المبحوثين الشخصية المتمثلة في: التعرض لوسائل الإعلام على اختلافها، أو متابعة رسائلها، أو طبيعة استخداماتهم لها، أو ماهيّة دوافعهم الكامنة وراء تلك الاستخدامات، فضلاً عن الإشباعات المتحققة منها.

وعدم اشتمال العديد من استمارات الاستبيان على تعريفات بأهم المفاهيم الواردة في أسئلته وفقراته، والتي قد لا تكون واضحة على نحو محدد للمبحوثين، ما يؤثر. سلباً . في طبيعة إجاباتهم عن تلك الأسئلة أو الفقرات، ومن ثم في النتائج الختامية التي ستترتب عليها.

والتداخل بين فئات / فقرات الأسئلة . التي تتضمنها استمارة الاستبيان . الموجهة إلى جمهور المبحوثين، وعدم استقلالية بعضها عن بعض، الأمر الذي يخل بالنتائج المترتبة على تحليل إجابات المبحوثين عنها، ومن ثم تفسير دلالاتها العلمية.

وأن تتضمن استمارة الاستبيان نوع من الأسئلة التي تُصادر على المطلوب من إنجاز البحث، ويُقصد منها تلك الأسئلة التي تطلب من (المبحوث) أن يُقدم هو إجابة واحدة وشمولية ونهائية عن تساؤلات البحث، التي تتطلب الإجابة عن كل واحدة منها، طرح عدد من الأسئلة، واستحصال الإجابات عنها، بغية الخروج لاحقاً بنتيجة تمثل إجابة عن تساؤل معين من تساؤلات البحث.

وغياب الدقة المنهجية في اعتماد الاصطلاحات العلمية عند صياغة أسئلة الاستبيان، إذ غالباً ما يُصار إلى استعمال تلك الاصطلاحات وتوظيفها على نحوٍ غير دقيق علمياً وسياقياً.

وانعدام شروط السلامة اللغوية والصحة الإسلوبية في صياغة أسئلة استمارة الاستبيان، ما يؤدي . في أحيان ليست قليلة . إلى غموض المعنى، أو لبس في القصد المُراد من السؤال.

وعدم أخذ اختصاص البحث ومتغيرات عنوانه بنظر الاعتبار العلمي عند إجراء اختبار صدق الأداة البحثية، إذ يحدث أن يُسند تحكيم استمارة الاستبيان إلى خبراء ليسوا من ذوي الاختصاص / الاختصاصات الدقيقة للبحث، ما يفضي إلى عدم صحة تحكيمها، ومن ثم صدقها.

وإجراء اختبار صدق أداة البحث على نحوٍ روتيني، إذ يعمد الباحث إلى إهمال ملاحظات الخبراء المحكمين وتجاهل تعديلاتهم المقترحة على أسئلة استمارة الاستبيان وفئاتها وفقراتها.

فضلاً عن غياب الأمانة العلمية للباحث في عملية توزيع استمارة الاستبيان . عددياً ونوعياً . على الجمهور المستهدف، الأمر الذي يعني عدم صدق إجراءات البحث المنهجية، ومن ثم التشكيك في صحة النتائج التي يتم التوصل إليها.